هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اللسانيات العربية
Allisaniyat Al Arabiyah
مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ٧ شوال ١٤٣٩هـ - يوليو ٢٠١٨ م

- ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات.

- من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث..

- البعد التفاعليّ في الكتابة الأكاديميّة من خلال ظاهرة التأدّب اللّغويّ.

- أنظمة الكتابة: النظرية وإشكالية التصنيف.

- اللسانيات التطبيقية وسؤال التخصص.

- منهج جديد في علم الدلالة الصرفي: الأفعال المزيدة نموذجا.

- مراجعة كتاب: المصطلحات المفاتيح في اكتساب اللغة الثانية.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث:

قراءة في «النقد اللساني» عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

أ.د. محمد صاري (*)

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن طبيعة الحس النقدي في الخطاب اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وما تتفرَّد به قراءته الناقدة من حمولة علمية ومعرفية متميزة، إذ تتخللها إشارات ذكية إلى العلامات الفارقة بين الفكر الأصيل والمستنسخ، تعكس جدة القديم، وقدم الجديد، وتجدد الاعتبار للمنجز اللساني التراثي، وتُثْبت الكفاية النظرية والمنهجية التي صدر عنها النحاة القدامى الذين كانوا لسانيين قبل أن تنشأ اللسانيات. وتتجلى الروح النقدية والتفتح الذهني في قراءته من خلال عديد النماذج التي جمعت بين مهارتيْ الفهم والتفسير وبين آلية المقارنة، لا يسع المقام لذكرها تفصيلا، ولكن سنكشف عن ملامحها من خلال أمثلة عديدة في صميم «النقد اللساني»، ناقش من خلالها قضايا لغوية متنوعة. وسيتم استقراؤها في ضوء مؤلفاته، وعلى الخصوص كتابه الأخير «البنى النحوية العربية»، الذي نجده يتناص عن قصد مع كتاب أحدث ثورة في التفكير اللساني المعاصر هو «البنى النحوية» لتشومسكي.

Abstract

This paper aims at revealing the critical mind in Abderrahman Hadj-Salah's linguistic discourse and his unique critical

*- جامعة محمد الشريف مساعدية. سوق أهراس. الجزائر.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

reading loaded with an outstanding scientific knowledge and smart indications of the distinctive marks between authentic and artificial thought, which reflects the newness in old thoughts and the obsolescence of new ones. This would confirm the competence, both theoretically and methodologically, of the ancient Arab grammarians who were linguists before linguistics was born. The spirit of criticism and intellectual openness in Dr. Abderrahman Hadj–Salah's analysis is reflected in the many models where he combined the skills of understanding and interpreting with the mechanism of comparison. This cannot be described in detail here, but an attempt will be made to reveal some of its features through various examples at the core of «linguistic criticism» in which Hadj-Salah discussed various linguistic issues that will be analyzed in the light of his writings, and in particular his latest work, «Arabic Syntactic Structures», which according to us deliberately recalls Chomsky's book «Syntactic Structures» which produced a revolution in contemporary linguistic thought.

مقدمة:

سُئل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح[1] في ندوة علمية عرَّف من خلالها بمشروعه في القراءة التجديدية للتراث اللغوي العربي: «هل أنتم من المحافظين؟» فأجاب بصريح العبارة: «لست محافظا، ولا مجددا، ولكن أبحث عن المفيد، اكتشفنا في القديم شيئا عظيما لم نجده في الحديث، ولو اكتشفناه لأخذنا به».[2]

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

وللكشف عن المفيد، ولإثبات جدة القديم وأصالته، وقدم الجديد، وتحديدا للعلامات الفارقة بين الفكرين: التراثي والمستحدث، اتجه الحاج صالح إلى إعادة قراءة التراث الأصيل[3] والبحث عن خباياه، لا حُباً في القديم لذاته، ولا محافظة من أجل المحافظة، ولكن قناعة بقيمة المنجز، ووعيا بالطفرة التلقائية المفاجئة التي أحدثها «سيبويه» وشيوخه وتلاميذه في تاريخ علوم اللسان؛ فقد أمضى حياته العلمية باحثا ومدرِّسا، يُعرِّف من خلال مشروع قراءة التراث معشر الباحثين العرب والغربيين في علوم اللسان بخصائص لسانيات اللغة العربية، وما تتفرد به من مضامين نوعية، ويثبت في المناسبات العلمية المختلفة الحلقة المفقودة التي تجاهلها بعض الغربيين عندما أرّخوا للفكر اللساني البشري.[4]

ومن ينظر في ناتج القراءة لديه، يكتشف ناقدا مبدعا لا ناقلا ومكررا، وسنسعى لتوضيح ذلك من خلال هذه الورقة البحثية التي تهدف إلى دراسة البعد النقدي اللساني عند الحاج صالح، وما يتميز به من قدرة على فهم واستنباط للمعقول من المنقول، والتمييز بين الوجوه والفروق. فأين يتجلى الحس النقدي في كتاباته؟ وكيف يتمظهر؟ وما طبيعته ومميزاته؟ وما وجه الأصالة فيه...؟ لاسيما في كتابه الأخير «البنى النحوية العربية»، الذي نجد عنوانه يتناص ربما عن قصد مع كتاب أحدث ثورة في التفكير اللساني المعاصر هو «البنى النحوية» لتشومسكي.

1 - أزمة فهم اللسانيات:

أمام موضة الحداثة والانفتاح على الآخر، انزلق بعض رواد الفكر اللغوي الحديث، الذين اطلعوا على اللسانيات الغربية، ونقلوها إلى القارئ العربي، إما في مَطَبِّ القطيعة مع التراث، وإما في مطب الإسقاط الذي حاول أصحابه عَوْرَبَة اللسانيات،[5] وأَسْلَمَةَ مفاهيم وتصورات[6] لا يمكن أن تنشأ أصلا ومنطقا إلا في زماننا الراهن، فقد راح بعضهم يعرضها (أي اللسانيات) وكأنها نقيض النحو العربي، وفي بعض الأحيان عصا سحرية، قادرة على حل جميع مشكلات اللغة العربية. ومنهم من قدمها في صورة توهم أنها علم تجريبي، وكل مقاربة للغة خارج هذا الإطار تُعَدُّ في زعمهم من قبيل الدراسة التقليدية أو الانطباعية.[7]

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

لا نعثر في أبحاث الحاج صالح ودراساته على عنوان مستقل يناقش من خلاله أزمة اللسانيات العربية الحديثة كما هو الحال عند بعض اللسانيين العرب،[8] لكن القارئ المتتبع لبحوثه ومؤلفاته يستشف وعيا واضحا بواقع البحث اللساني العربي وسلبياته. يتبين ذلك من خلال التحليل النقدي الذي قدَّم به لكتابه «بحوث ودراسات في علوم اللسان»، وحديثه عن «الأصالة والبحوث اللغوية» الذي ورد في مقدمة كتابه «بحوث ودراسات في اللسانيات العربية».[9] ومن مظاهر الواقع السلبي لأزمة اللسانيات إشارته إلى أن كثيرا ممن كتب أو يكتب في اللسانيات ليسوا من فرسان الميدان،[10] فبعضهم يمرق ملاحظات مبعثرة من مؤلفات اللسانيات الغربية؛ يَدْرُسها اليوم، ثم يتجرأ في اليوم الموالي على نقد كتب الأئمة والفطاحل من النحاة والبلاغيين كما يُنتقد أي كتاب مدرسي لتعليم الصبيان، يفعل هذا وهو قليل المؤونة، جاهل بالتراث، غير مدرك لمقاصد القدماء، مثل نبذهم لمفهوم العامل بحجة أنه لا يوجد في اللسانيات البنيوية.[11] وبعضهم يعرض اللسانيات الغربية على المثقف العربي وكأنها حقائق أو مسلَّمات، فلا يُنزلها من مستوى التقديس الأعمى إلى مستوى النظر والتمحيص،[12] ولا يتنبه إلى أخطائها النظرية والمنهجية، بل يتجاهل ما يُقدمه الغربيون أنفسهم من نقد. ومنهم من لا يعرف من اللسانيات إلا آثارها البالية المتجاوَزَة، التي مازال البعض يقدمها للقارئ العربي ولا يدرك الانقلابات الثورية التي حدثت فيها،[13] وبعضهم يتعصب للمدرسة أو المذهب أو النظرية، ويتبنى أفكارها، فينظر في أبواب العلم وموضوعاته بنظارات أحادية اللون، صُنعت في معامل البنيويين أو الوظيفيين أو التوليديين... ويتجاهل الاتجاهات الأخرى ويصادر أفكارها. والأخطر من ذلك أن يستخرج منها ما يؤيد نظريته ويسكت عمّا يكذبها ويدحضها.[14] ويدخل في هذا التوجه حديث الدكتور الحاج صالح عن أزمة فهم اللسانيات، فقد يُظن أن حداثة مفاهيمها تفرض صحتها، ولا يُعتدّ بالمفاهيم العلمية في ذاتها، ومن حيث هي.[15] ومنهم من لا يميز بين المناهج التحليلية كطرق للكشف لا أداة للبرهنة، وبين موضوع تحليلها: وهو الصورة أو البنية اللسانية ومجاريها في عملية التخاطب، أي اللسان في ذاته، الذي يتخذه العلماء موضوعا للدراسة.[16]

وفي حوار لساني، يجيب الحاج صالح عن سؤال المستجوِب بسؤال فيقول: «لماذا تريد أن يكون دورها [أي اللسانيات] أهم من أخواتها في العلوم الإنسانية؟! ثم

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

قد تكون اللسانيات الغربية عائقا، ونعني بذلك لا المناهج الحديثة التي تسير عليها، فهي جيدة مادامت قابلة للتطور، بل نعني النظريات الكثيرة والمتضاربة، وتصبح مثل المذاهب الدينية تُبنى على الإيمان والاعتقاد أكثر مما تبنى على التجربة والاستدلال»،[17] ولذا «يجب أن لا نعطي للسانيات أكثر مما تستحقه من الأهمية».[18] ومن مظاهر الواقع اللساني السلبي أيضا مشكلة الخلط بين المصطلحات الأصيلة ومصطلحات النحاة المتأخرين، وعدم توفر المصطلحات العربية لتأدية المعاني العلمية رغم كل ما تبذله المجامع اللغوية من مجهودات لسد الفراغ. ولعل أبرز مظهر على أزمة فهم اللسانيات في الكتابة العربية غياب اللسانيين، والحضور المكثف للمؤرخين (مؤرخي اللسانيات)؛ فبعضهم يجهل أبسط مبادئ السيميائية والتداولية واللسانيات النصية... ومع ذلك يؤلفون فيها الكتب، ويكتبون عنها المقالات.[19]

2 - أزمة فهم التراث:

باسم اللسانيات التي كانت أقوى إغراءً، وأفتن للنفس من النحو القديم، أو قل: باسم علمية اللسانيات التي تَدَثَّر بها القوم (!) شكل ناقدو التراث من الرواد اتجاها ضاغطا على التوجه العام للبحث اللساني العربي لدى الأجيال اللاحقة، وزعموا أن بالنحو العربي عيوبا ونقائص تجعل إصلاحه وإعادة النظر فيه ضرورة ملحّة. وذهبوا في هذا النقد مذاهب شتى، وتباينوا في تشخيص العيوب وطرق الإصلاح تباينا يدفع إلى التساؤل عن قيمة الأسس التي انطلقوا منها، وعن مدى سلامة الأحكام التي وصلوا إليها؛ فكل شيء وُجد عند النحاة الأولين مستعار في نظرهم،[20] وكل أصل من أصول النحو،[21] أو مسألة من مسائله، أو باب من أبوابه، لا يفيد مباشرة في الجانب الإجرائي ترف لا فائدة منه، ولغو ينبغي تجنبه. واقتنع الجميع أن نظام العوامل هو المسؤول عن ذلك؛ فهو في نظرهم مجموعة من الأحكام المسبقة، والمسلمات الماقبلية التي سُلّطت قسرا على الدرس اللغوي التراثي. وافترضوا أن ما عاب به اللسانيون الغربيون تراثهم اللغوي الإغريقي واللاتيني ينسحب على النحو العربي. وكانت حاجة اللغة العربية، في اعتقادهم، إلى منهج وصفي تماثل حاجة الأنحاء الأوروبية القديمة.[22] ومن أبرز أفكارهم التي أَجَّجَتْ شهوة النقد وحُمَّى الخلاف والحداثة لا التحديث، وشغلت الدارسين حينا من الدهر اعتقادهم أن[23]:

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

– المدونة اللغوية التي استُقرئت منها القواعد ناقصة وغير تمثيلية وفيها تحيز كبير.[24]

– واللغة النموذجية التي خطب بها الخطباء، وشعر بها الشعراء، ونزل بها القرآن، لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة، ولم تكن سليقة يتكلمونها دون شعور بخصائصها.[25]

– والنحو العربي معياري وفلسفي ويوناني النشأة والمنبت، والعقل العربي في تلك المرحلة غير مؤهل لمثل هذا النمط من التفكير والصياغة التجريدية (نظرية التأثر المحتوم).[26]

– والنحاة العرب درسوا لهجات عربية متعددة ومتباينة ليستخرجوا منها نظاما نحويا واحدا، والمفروض أن تكون هناك أنحاء متعددة بعدد اللهجات التي درسوها.[27]

– والإعراب قصة نسج النحاة خيوطها بمهارة وإحكام.[28]

– وفكرة العامل خرافة لا يقول بها عاقل وليست النظرية التي نحتاج إليها في الدرس الحديث.[29]

– والنحاة العرب اصطنعوا أمثلة وتراكيب افتراضية كثيرة لم تكن موجودة في اللغة، ولم تُسمع عن العرب، وقد أوردوها لتزكية أصولهم المنطقية.[30]

– واللغويون لم يسلكوا طريق عبد القاهر، ولم يأخذوا بمنهجه لضعف عقولهم، وفتنتهم بنحو سيبويه.[31]

– وأُولَى العقبات في وجه التجديد في الدرس اللساني العربي هي استعمال المحدثين لمعطيات القدماء، واشتغالهم على اللغة العربية الفصيحة... ومعطيات القدماء معطيات ناقصة، بل إنها زائفة وغير لائقة في كثير من الأحيان...!![32] وغير ذلك من الأحكام والنتائج، التي تدَّعي العلمية (ظاهرها بناء وباطنها هدم)،[33] وتُظهر التراث اللغوي العربي وكأنه نقيض اللسانيات الحديثة.

وفي الوقت الذي بدأ فيه الطرح اللساني لدى الرواد العرب محاكمة للفكر اللساني التراثي، ونقدا ثوريا للمفاهيم والتصورات التي تأسست عليها علوم اللسان العربي، لا سيما النحو، وأمام هذه الموجة الصاعدة من النقد اللساني للقديم، يظهر في جيل الرواد لساني مخضرم: تراثي ليس كبقية التراثيين، وحداثي ليس كبقية الحداثيين،[34] له إحاطة شاملة وتكوين عميق في مناهج القدماء والمحدثين ليمارس، إن صح التعبير،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

إعادة إنتاج التراث بشكل أشاع فيه قوة حببته إلى العقول والنفوس؛ هذا اللساني هو الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، الذي ظل يحث معشر الباحثين العرب في المناسبات العلمية المختلفة على القيمة المتجددة «للكتاب» أو «قرآن النحو» كما أُطلق عليه. فقد أظهرت أبحاثه أن جهود علماء العرب على غير ما كان البعض منا يتصور ويتوقع؛[35] وكشفت أن التراث اللغوي العربي تضمّن مفاهيم وتصورات لسانية لا يستهان بها، وسابقة لأوانها. يتجلى لنا ذلك من خلال بعض العبارات التي تواترت لفظا ومعنى في كتاباته وحديثه، منها قوله: «وقد نظرنا في كتاب سيبويه وأطلنا النظر، فبعد مدة طويلة تبين لنا أن المفاهيم التي يتضمنها هذا الكتاب تكوِّن في الحقيقة نظرية دقيقة لم نعثر على مثلها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أم حديثة. وأيقنّا أن هذه المفاهيم جديرة جدا بأن يُكشف عنها وعن حقيقتها».[36] وقال أيضا: «وقد أيقنَّا أن الدراسات اللغوية لن يكون لها شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يتفهموا ما قصده هذا الرجل العبقري بتعليلاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرجوع أولا إلى كتاب سيبويه... وثانيا إلى من أدرك مقاصده حق الإدراك، مثل ابن السراج وأبي علي الفارسي، وابن جني. و يا حبذا لو درسوا في نفس الوقت نظريات علم اللسان الحديث، لأنه فيها من المعاني والمفاهيم، لو تدبروها لوجدوها شديدة الشبه بما يجدونه في الكتب القديمة، وربما ساعدتهم على إدراك ما لا يزال غامضا لديهم من نظريات النحو العربي».[37] فالحاج صالح لا يؤمن بالقيمة المتجددة لكتاب سيبويه وشرّاحه من الجيل الأول فحسب، بل يتوقع أن الاطلاع على علم اللسان الحديث قد يساعد على إدراك المسائل العويصة والمغلقة في النظرية اللغوية التراثية.

ومن خلال هذه التصريحات، وبعد حملها على غيرها من الأفكار السابقة التي وردت في الخطاب اللساني لدى الرواد الذين كانوا سببا في نقل اللسانيات وتعريف القارئ العربي بها، (وقد أطلق عليهم الحاج صالح أحيانا «زملاؤنا»، وأحيانا أخرى «إخواننا»)،[38] يتبين الفرق الواضح بين الخطابات الثورية المغالطة التي سعت إلى مصادرة التراث أو مصادرة جزء منه، وبين الحوار العلمي الحقيقي الذي دخل فيه الحاج صالح مع الفكر اللساني الحديث ليحدد موقع التراث منه، وذلك من خلال قراءة ناقدة لأزمة فهم اللسانيات، وأزمة فهم التراث.[39]

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

3 - نماذج من النقد اللساني عند الحاج صالح:

للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مشروع قراءة التراث، وتقويم المنجز اللساني الغربي روح علمية لا تقنع بالشرح والوصف، وتكمن أهمية مؤلفاته وميزة أبحاثه عن غيرها من الكتابات اللسانية العربية الحديثة في ملازمتها للنقد البناء والتقويم الموضوعي للقديم والحديث، والعلم كما نعلم «مدين في وجوده أو في تقدمه إلى أشخاص عرفوا كيف يجددون طرق مشاهدتهم، ومعاينتهم، وتساؤلهم، وتأملهم، وتنظيمهم، واكتشافهم».[40] فكل مقولة لسانية لا يتم إقرارها أو رفضها إلا بعد إنزالها إلى مستوى النظر والتمحيص،[41] وحملها على غيرها من المفاهيم؛ و«المقارنة بين هذه المفاهيم كما تصورها هؤلاء العلماء المبدعون، وما جاء بدلها فيما بعد من مفاهيم غير علمية، والمقارنة أيضا بينها وبين ما نجده اليوم من مفاهيم علمية في العلوم اللسانية الحديثة وفي المنطق العلمي... لأن أوجه الشبه قد تخدع الباحث أحيانا، كما أن الفوارق الكثيرة قد تضل أحيانا الباحثين فلا يهتدون إلى الشبه العميق الذي لا يتضح إلا بالطرق التحليلية الدقيقة كالطرق المنطقية الرياضية».[42] ومن ذلك مثلا تمييزه الواضح بين الاستدلال الأرسطي القائم على مفهوم الاشتمال (اندراج شيء في شيء آخر)، والاستدلال العربي المبنيّ على حمل شيء على شيء وإجرائه عليه. ويشغل النقد اللساني حيزا كبيرا في أبحاثه، وسنكشف عن شيء من ملامحه من خلال نماذج مختارة من القضايا المتنوعة التي ناقشها.

3 - 1 - مفهوم الأصالة:

من مظاهر النقد اللساني عنده تحديده لمفهوميْ الأصيل والأصالة بعد رفضه أن تكون اللفظة الأخيرة مقابلا ضديا لمفهومي الحداثة أو المعاصرة، كما هو الشأن عند الكثير من المثقفين، فالأصيل[43] «في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء جديد لم يُسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه»؛ وبشكل آخر «هو الذي لا يكون نسخة لغيره». وأما الأصالة، كما ورد في تصريحه قائلا: «فإننا لا نشاطر نظرة الكثير من المثقفين عندما يقابلون هذا المفهوم بالحداثة أو المعاصرة، فإن الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أيًّا كان المقلَّد». ويقصد بالتقليد «اتباع الإنسان لغيره فيما يقول أو يفعل معتقدا الحقيقة فيه من

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

غير نظر وتأمُّل في الدليل»، كما حدث عند ناقدي التراث الذين نبذ كثير منهم المفاهيم العربية بعد تأثرهم بالطروحات التي خلفتها المحاكمة اللسانية للفكر اللغوي القديم لدى جيل الرواد. وبعد نقده للذين استبدلوا تقليدا بتقليد، فعابوا تقليد القدماء واستبدلوه بتقليد الغربيين، يخرج بنتيجة مفادها: أن الأصالة في زماننا هذا، وانطلاقا مما سبق ذكره، هي الامتناع عن تقليد الغربيين خاصة.[44] إن ما سعى الحاج صالح لإظهاره من خلال هذا التناول لمفهوميْ الأصيل والأصالة هو التنبيه على ضرورة التفتح الذهني لدى المقلِّد، بأن يكون دائما على استعداد لإعادة النظر والتمحيص، وعدم الاطمئنان مقدما وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير حتى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان، بل يجبره على تقبُّل أقوال غيره،[45] فقد تَحْجُب الأفكار المسبقة الرؤية، وتخفي بعض الأبعاد الجديدة للموضوع قيد الدراسة. والعلم، كما يتصور (Popper)، يتطور وفق منوال تتعاقب فيه عمليات الدحض تعاقبا لا محدودا.[46]

3 - 2 - أسطورة اللغة النموذجية المشتركة:

من بين القضايا التي أثارها نفر من المستشرقين، قياسا على الوضع اللغوي اليوناني،[47] وتَبَنَّاها بعض الباحثين العرب، اعتقادهم أن اللغة النموذجية التي خطب بها الخطباء، وشعر بها الشعراء، ونزل بها القرآن لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة، ولم تكن سليقة يتكلمونها دون شعور بخصائصها.[48] فقد حملوا الفصحى القديمة على الفصحى الحديثة، وأسقطوا الوضع اللغوي العربي الحديث على الوضع اللغوي القديم، وزعموا أن لغة أو لغات التخاطب شيء، واللغة المشتركة الأدبية، أو النموذجية، أو القديمة، أو المبكرة، كما أُطلق عليها، شيء آخر،[49] أي لغة مشتركة أدبية تقابلها لغات تخاطب مختلفة بين قبيلة وأخرى (أي، بالتعبير الراهن، لهجات إقليمية). وقد ترتبت على هذا الطرح أفكار أخرى أكثر خطورة فحواها: أن المدونة اللغوية التي استقرئت منها القواعد ناقصة وغير تمثيلية وفيها تحيز كبير،[50] وأن النحاة العرب درسوا لهجات عربية متعددة ومتباينة ليستخرجوا منها نظاما نحويا واحدا.[51] وهذه الفكرة، في منظور الحاج صالح، غريبة عن العرب، ولا سبيل إلى العثور عليها في أي كتاب من كتب اللغة أو النحو القديمة، ولم تتم الإشارة لدى التراثيين إلى وجود لغة عربية منفصلة عمَّا سموه باللغات.[52]

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

واللافت للنظر في رد الحاج صالح على هذا التوهم هو طبيعة الأدلة النقلية والعقلية التي قدمها لدحض هذه الأسطورة،[53] فقد لاحظ أن هناك تخليطا واضحا لدى هؤلاء المدَّعين بين ما كان يُقصد من لفظة «لغة» عند القدماء والمحدثين، وقد أدى تطور مدلولها شيئا فشيئا إلى ما يدل عليه مفهوم «اللسان» في اللسانيات الحديثة، والتسوية بين المدلولين، كما أدت التسوية بينها (أي لفظة لغة) وبين مفهوم «اللهجة» (Dialecte) الأوروبية، التي فُهمت خطأ[54] في مرحلة ما من تطور دلالتها (كلسان محلي، لا أداءً خاصًا بعنصر من بعض عناصر اللغة)، أدى إلى التداخل، وكان أحد أسباب التخليط في زماننا.[55]

فـمصطلح «لغة» في كلام سيبويه والنحاة الأوائل يدل على: « كيفية خاصة في استعمال العرب، أو جماعة منهم، لعنصر خاص من عناصر العربية» «Variant» ليس إلا، أي كيفية التأدية أو طريقة الكلام التي انفرد بها بعض العرب عموما[56]. وقد نصت العرب على اختلاف في الأصوات، وفي صيغ الكلمة أو مدلولها، وفي بعض التراكيب، نحو: (نَستعين/ نِستعين)، (مَعَكم/ مَعْكم)، (مُستهزئون/ مستهزون)، (صاعقة/ صاقعة)، (الصقر/ السقر)، (أما زيد/ وأيْما زيد)، (هذا البقر/ هذه البقر)، (ما زيدٌ قائمٌ/ ما زيدًا قائمًا)...إلخ. ولم يصرحوا أبدا أن هذا التنوع يشكل كيانا لغويا منفصلا (أي نظاما لغويا مستقلا بذاته).[57] هذا الذي أطلق عليه بعضهم، ومنهم «ديفيد جستيس» (David Justice) الاضطراب المتخفي في الآثار المتنوعة للغات المحلية، وقد استطاعت قوة المعيار أن تستأصلها في الأشكال اللغوية المكتوبة.[58] وأما اللهجة فهي نظام لغوي كامل، أو لسان محلي أو قبلي، أي اللسان الإقليمي بالتعبير الحديث،[59] لا ميزة لَهَجِيَّة أو تنوع أدائي معين.

ويتساءل الحاج صالح: أيُعقل أن لا يتفطن القدماء إلى لغةٍ تخاطب مشتركة نموذجية مغايرة للغة القرآن والشعر، وفيهم من فيهم من أهل العلم والبيان والفصاحة، كابن جني وعبد القاهر والجاحظ...إذ يستحيل عقلا أن يكون العلماء القدامى قد سكتوا كلهم عن هذا! ثم ما الفائدة من السكوت؟ ولماذا؟! وأقوى دليل لديه على وحدة اللغة العربية في ذلك الزمان، أن كل بناء نحوي وُجد في القرآن والشعر له ما يماثله غالبا في الكلام العادي.[60] بالإضافة إلى ذلك لاحظ الحاج صالح أنه لا يوجد في

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

«الكتاب» أيُّ تفضيل للهجة على أخرى. أما تفضيل استعمال لغوي على استعمال آخر لدى سيبويه وشيوخه وتلاميذه، فمرده إلى الخفة وكثرة دورانه في أفواه العرب الفصحاء.[61] وأما ما قلَّ استعماله من اللغة، أي «الغريب»، فهو ما «لم يدُر في أفواه العامة كما دار في أفواه الخاصة... وليس كل العرب يعرفون اللغة كلَّها، غريبها و واضحها ومستعملها وشاذها، بل هم في ذلك طبقات يتفاضلون فيها... وأما اللغة الواضحة المستعملة سوى الشاذ والنادر، فهم فيها شرع واحد».[62] يتشابه فيها كل الذين ينتمون إلى الجماعة اللغوية الواحدة.

3 - 3 - نظرية المقطع:

وفي قراءة ناقدة للصوتيات العربية، يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن التصور العربي بُني على رؤية حركية لفظية طبيعية،[63] تخالف النظرة اليونانية من زوايا متعددة، وربما تلتقي معها فيما هو راجع إلى الحس المبني على المشاهدة والتجربة. فالتصور اليوناني الذي بُني عليه تقسيمهم لأصوات اللغة إلى مصوتات وصوامت، وكان سببا في ظهور مفهوم أو نظرية المقطع، هو ما لاحظه نحاتهم من أن بعض الأصوات لا يمكن أن يُنطق بها في الكلام العادي دون أن يرافقها صوت من جنس آخر (إذ لا يقوى الحرف على الانفصال بنفسه بل لا بد له من صُوَيِّت أو جرس يرافقه ويتأدَّى به إلى السمع)، وفي المقابل يَقْدِرُ الناطق بالصوت المرافق أن ينطق به منفردا. هذا هو التقسيم الذي توارثه الغربيون جيلا بعد جيل، وبنوا كل تحليلاتهم عليه.[64]

وللنحاة العرب القدامى نظرة أخرى في منظور الحاج صالح، تتضح من خلال وصفهم للحركة والسكون اللذَيْن لا يوجد لهما مقابل في الحضارات الأخرى،[65] وكثير من الباحثين العرب والغربيين لا يعرفون بالضبط ما يقصده علماؤنا الأولون من الحرف المتحرك والساكن.[66] وفي تقسيم العرب لأصناف الحروف يلتقي النحاة العرب بتقسيم اليونانيين لأصواتهم إلى صوامت وصوائت، على اعتبار هذا التقسيم ظاهرة عامة الوجود، تنتج في كل اللغات عند تقطيع الصوت الطبيعي في المخارج. ولكن الفارق بين النَظْرَتين العربية واليونانية يكمن في أن العرب فرقوا بين الحركة (وهي صوت عندهم) ومدَّتها، فاعتبروا هذه المدَّة حرفا قائما بذاته، بل حرفا تاما (حرف المد) دون الحركة التي هي ابتداؤها، ولم يجعلوها حرفا واحدا وهو المُصَوِّت

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

الطويل عند اليونان (والصوتيين الغربيين). ويتأسس التقسيم اليوناني للأصوات على: (صوامت + صوائت قصيرة وطويلة)، وفي المقابل يتشكل التصنيف الصوتي العربي من: (حروف صحاح وتسمى «جوامد» + حروف لين ناقصة و توامّ). ويطلق على حروف اللين الناقصة أصوات الحركات، وعلى حروف اللين التوامّ مدَّات الأصوات.[67]

ويلاحظ الحاج صالح أن كثيرا من الباحثين لا يعرفون أن للحركة عند علماء العرب وظيفتين بارزتين في عملية الكلام وإحداث الحروف في المخارج، تنفرد بهما عن بقية الحروف هما: تمكين الناطق من إحداث الحروف (حركة عضوية هوائية) أولا، وتمكينه من الانتقال من موضع أو مخرج حرف إلى موضع أو مخرج حرف آخر في السلسلة الكلامية ثانيا. وبعض المتأخرين وأكثر المحدثين كما يقر الحاج صالح، لا يعرفون من الحركة إلا المفهوم السائد الدال على المصوت القصير. والحقيقة أن الحركة كصوت غير الحركة التي تمكِّن من إحداث الحرف ووصله بحرف آخر، فبالحركة (أي الحروف الناقصة، أو أبعاض الحروف كما يسميها القدماء، أو أصوات الحركات بتعبير الحاج صالح) ينبعث الصوت ويتأدَّى، ويُتوصل إلى النطق بالحرف في حين يتعذر ذلك بالسكون، وأما الحرف (الصحيح) فلا يُمَكِّن من إخراج الحرف. وهذا هو السر في تسميتهم الحركة حركة، لأنها إطلاق، والسكون حبس. وبهذا المفهوم تكون الحركة عملية عضوية هوائية فيزيائية تمكِّن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر، فإذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى الذي يليه. والحرف المتحرك لا ينفرد كما لا ينفرد الساكن، بخلاف المقطع القصير فإنه يُمكن في النظرة اليونانية أن ينفصل، وهو ما يفترق فيه التصور العربي، في منظور الحاج صالح، عن التصور اليوناني.[68]

وفيما يتعلق بمفهوم المقطع، وهو أصغر المجموعات من العناصر الصوتية التي يمكن أن تنفصل في النطق عمَّا قبلها وعمَّا بعدها، يذهب الحاج صالح إلى أن أهل الأداء يستعملون المصطلح للدلالة على الموضع من الكلام الذي يمكن أن يُوقف عليه، وقد سمَّى العرب Syllabe مقطعا لأنه أقرب لفظ عربي إلى معنى المصطلح اليوناني. وفي الواقع لا يوجد المقطع كما بيَّن عالم الأصوات الفرنسي «روسلو» إلا

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

بين وقفتين. وقد أنكر كثير من الغربيين أن تكون في الكلام العادي مقاطع، فلا وجود له إلا بالقوة أي بشرط،[69] وهذا ما أثبته المختصون بالصوتيات التجريبية، حيث لاحظوا أن الكلام الطبيعي وتموجاته متصلة بعضها ببعض في تعاقبه بدون أي انقطاع، ولا مقاطع تحصل فيه، كما يتصور ذلك خطأً اليونانيون ومن تبعهم من العرب والغربيين. ولا يتمثل هذا التعاقب على شكل اقتران أجزاء (عناصر) بأخرى بدون إدراج للحركات المُحْدِثَة لها، بل على شكلٍ اهتزازي وانسيابي مستمر، تكون الحركة سببا مركزيا في حدوثه.[70] ويتعجب الحاج صالح: كيف يجوز لمن لم يدخل قط إلى مخبر صوتي الحديث عن أقوال الصوتيين العرب؟![71] كما يتعجب من الذين لا يزال أكثرهم يبنون النظريات على أساس التصور اليوناني بدون أي تحفظ، وتبعهم في ذلك أغلب الباحثين العرب.[72] هذا هو التصور العربي للدينامية اللفظية، أو قواعد التلفظ في العربية وكثير من اللغات، يمكن تلخيصها في ما يلي:

– للحرف ثلاثة أطوار في حدوثه: وضع العضو في موضعه، ثم ملازمته له، ثم رفعه عنه.

– إحداث الحرف مقيد بما يحدث بعده وقبله من الحركة.

– يحدث الحرف إما بإطلاق الهواء وإما بحبسه، (والحبس المقصود هو الذي لا يتلوه رفع العضو، وليس الحبس الناتج عن وضع العضو بالضرورة في كل حرف، وفي جميع أحواله).

– لا يمكن أن يُنطق بحرف متحرك وحده في سياق الكلام، فلا بد أن يكون متلوا بحرف متحرك أو ساكن، فعملية «الإدراج» تقتضي أن تتهيأ الأعضاء في أثناء الحركة للنطق بحرف آخر.

– لا يمكن أن يُنطق بحرف ساكن وحده، كما يتعذر الابتداء بالساكن.[73]

– لا يلتقي ساكنان لأنه يتعذر أن يتعاقب حبسان، أي حبس وراء حبس آخر.

– الحركة كحرف أي كمصوت لا استقلال لها.

– الحركة كمصوت فقط لا يمكن أن تحدث إلا بعد الحرف.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

3 - 4 - الفاعل الصناعي والفاعل المعنوي:

من أمتن ما أثبته علماء العرب في منظور عبد الرحمن الحاج صالح تمييزهم الواضح بين المعنى الوضعي (الأول) والمعنى الاصطلاحي (وهو وضع ثان)، وتعسفا لم يميز المنتقدون الذين شنوا هجوما عنيفا على النحاة جهلا منهم، كما يقول، بطبيعة صناعتهم وما تقتضيه أغراض القوم من ضرورة التمييز بين اللغة والاصطلاح، أي بين المعنى الذي يدل عليه اللفظ في الوضع الأول للغة، وبين المعنى الذي يخص اللفظ الوضعي في الوضع الثاني، ليس على مستوى الخطاب وإنما على مستوى المنظومة المصطلحية للصناعة النحوية. وبأسلوب يحمل رجة إنشائية يقول الحاج صالح: «لقد فوجئ النحاة بهجوم عنيف ضدَّهم في زمان ابن الراوندي وغيره من المتكلمين غير المتخصصين في علوم العربية، وكانوا يجهلون أغراض النحويين»،[74] فقالوا كما ورد على لسان ابن جني: «يقول النحويون إن الفاعل رفعٌ والمفعول نصبٌ، وقد ترى الأمر بضد ذلك؛ ألا ترى تقول: «ضُرِب زيدٌ» فترفعه وإن كان مفعولا به، وتقول: «إن زيدًا قام» فتنصبه وإن كان فاعلا. وتقول: «عجبت من قيام زيد» فتخفضه وإن كان فاعلا... ومثل هذا [كما يعقب ابن جني] يُتعب مع هذه الطائفة، لا سيما إذا كان السائل عنه من يلزم الصبرُ عليه، ولو بدأ الأمر بإحكام الأصل لسقط عليه هذا الهوس وذا اللغو...ألا ترى أنه لو عرف أن الفاعل عندهم إنما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل، وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم، وأن الفعل الواجب وغير الواجب في ذلك سواء... والمفعول أنه إنما يُنصب إذا أسند الفعل إلى الفاعل وجاء هو فضلة».[75] فالتخليط لدى هذه الطائفة التي ترى أن ما أورده النحاة من العلة ضعيف واه ساقط غير متعال سببه، عند ابن جني ، الجهل بأصول النحو وأغراض النحويين، لأنه كما يقول: «لست تجد شيئا مما علل به القوم وجوه الإعراب إلا والنفس تقبله، والحس منطوٍ على الاعتراف به».[76]

3 - 5 - النحو العلمي والنحو التعليمي:

نبه الدكتور الحاج صالح إلى الخلط الذي يحدث بين المفهومين وما يترتب عليه من تدهور في تدريس لا النحو فحسب بل العربية عموما،[77] ومع ذلك يبقى اللبس قائما لدى البعض، حيث يقول وهو بصدد الحديث عن بعض معاصرينا الذين حاولوا

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

استبدال أوضاع النحو القديم بشيء تافه استعاروه من النحو التقليدي اليوناني واللاتيني: «...كما حاولوا أيضا تبسيط النحو، وهذا دليل واضح على التباس المفهوم! إذ كيف يُبَسط النحو وهو القانون الذي بُني عليه اللسان! ولا شك أنهم أرادوا تبسيط الصورة التي تُعرض فيها القواعد على المتعلم. فعلى هذا ينحصر التبسيط في كيفية تعليم النحو لا في النحو نفسه، لأنه علم محض، وهل يُعقل أن يُجحف بالعلم بحذف بعض قوانينه وعلله»!؟ فرؤية الحاج صالح لفكرة التيسير من خلال مضمون القول تشير إلى:

أ – أن النحو في حاجة ماسّة إلى من ييسر أساليبه ويوضح طرق عرضه، وليس في حاجة إلى من يغير قوانينه الثابتة من حيث هي علم، أما التصور العلمي فهو قابل للتطوير لكن وفق الشروط التي يتطلبها العلم.

ب – أن النحو جهاز كامل، وأن حذف أي جزء منه يؤدي إلى تعقيده وربما إفساده. وما يلاحظ على فكرة الحاج صالح أنها تتقاطع مع رأي مشهور لـ «يلمسلاف» (Hjelmslev) في كتابه التأويلات يقول فيه: «إذا كنا نريد نحوا سهلا فلا توجد سهولة في النحو (بالطبع من حيث هو علم)، فالنحو هو النحو، وإن أي مجهود يبذل لجعله أكثر سهولة مما هو عليه، سوف يقود لا محالة إلى تحريف القواعد والقوانين، وهتك مبادئ ثابتة لها مصداقية في العلم»[78]، لأن النحو في أساسه صناعة تعين على اكتساب اللغة بعد أن ضاعت السليقة، ونجاحه في هذا المركب أمر لا يختلف فيه من يطلبون له اليوم مزيدا من النجاح.[79]

هذه أشتات متفرقات من النقد اللساني، تم استقراؤه من عديد المؤلفات، وهو قليل من كثير، لا يسع المقام لذكره تفصيلا، والإلمام بموضوعه يحتاج في اعتقادي إلى أطروحة مستقلة بذاتها، وليس من السهل فصله عن المتن؛ فهو مزيج من التأليف والوصف والشرح والتعليق والنقد ونقد النقد. ولمزيد من التمثيل، تعمدنا أن نختم «النقد اللساني» عند عبد الرحمن الحاج صالح بنماذج مُسْتلَّة من كتابه الأخير «البنى النحوية العربية».

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

4 - «البنى النحوية العربية»، لماذا؟[80]

أسباب عديدة دفعتنا إلى اختيار كتاب «البنى النحوية العربية» للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، لعل أبرزها:

أولا – أنه آخر كتاب ألفه الشيخ قبل وفاته، فهو الحلقة الرابعة في سلسلة علوم اللسان عند العرب بعد «السماع اللغوي العلمي عند العرب»، ثم «منطق العرب في علوم اللسان»، ثم «الخطاب والتخاطب ونظرية الوضع والاستعمال». ولا ندري مصير الحلقة الأخيرة لهذه السلسلة التي أعلن أنه سيخصصها للصوتيات العربية من الخليل إلى العصر الحديث.[81]

ثانيا – أن موضوعات الكتاب كما يصرح المؤلف علمية محضة، تتعلق بالنحو العلمي ولا تصلح بأي حال من الأحوال للتعليم اللغوي.[82]

ثالثا – الإجابة عن السؤال الذي يطرحه بعضهم: هل يعدّ الحاج صالح لسانيا أم نحويا؟ إن مضمون الكتاب يعكس نحويا بامتياز، ولكن شتان بين بضاعته وبضاعة أغلب النحاة! فنحوه علم قديم ولكنه ليس جافّا، فقد أضفى عليه روح الحداثة! وأما منهج الكتاب وأدوات التحليل التي استثمرها في إجراء المقارنات فتفصح عن لساني بامتياز، وكل لساني نحوي في نظرنا وليس العكس.

رابعا– طبيعة المنظومة الاصطلاحية التي تم استثمارها في بناء نظرية النظرية (Métathéorie)، وتوظيفها في إجراء المقارنات وتحليل الأبنية النحوية بين لسانيات التراث وبين علوم اللسان الحديث؛ فقد وجدنا لها حضورا في مؤلفاته الأخرى وبخاصة كتابه الموسوم بـــ «منطق العرب في علوم اللسان»، ولكن ليس بهذه الكثافة، جاء عرضها في الكتاب على شكل ثنائيات لغوية، وأحيانا ضدية نحو: (الوضع/ الاستعمال)، (الأصل/ الفرع)، (الانفصال/ الابتداء)، (الإفراد/ التركيب)، (البنية/ الوظيفة)، (قسمة التركيب/ قسمة المواقع)، (العامل/ المعمول)، (العلاقات الأفقية/ العلاقات العمودية)، (الصورة/ المثال)، (القياس/ التكافؤ)، (اللفظة الاسمية/ اللفظة الفعلية)، (المهمل/ المستعمل)، بالإضافة إلى: الحمل، والنظير، والبناء، والجملة، والرتبة، والصيغة، والموضع، والعلة، والصدارة،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

والعلامة العدمية، والمادة الأصلية، ونظام اللغة، وظواهر اللغة، والصفات المميزة... إلخ. وكل هذه المصطلحات مفاهيم أساسية في بناء «نظرية النظرية» التي فضَّل الحاج صالح أن يطلق عليها «البنى النحوية العربية»، حملا لها على كتاب تشومسكي المشهور الذي تضمن النظرية التوليدية، رغم وجود بديل سابق عُرف به في الكتابة اللسانية العربية هو «المدرسة الخليلية» ثم «النظرية الخليلية» بعد ذلك!

خامسا – والكتاب ليس مجرد عرض لقواعد اللغة العربية كما وصلتنا من القدماء، بل هو عمل علمي تأسَّس على النظر في اللغة وصفاً وتصنيفاً وتفسيرًا، على اعتبارها ظواهر ونظاما، وعرضها على شكل مخططات، ورسوم بيانية، وتشجير مكثف، لم نعهد له مثيلا في المؤلفات السابقة. والهدف من ذلك كله هو الكشف عن تصور النحاة القدامى الشامل لنظام العربية والأسس التي بُنِي عليها، وما أنتجوه من جهاز مفاهيمي لم يدرك بعض من جاء بعدهم أبعاده.[83]

سادسا – والأهم من الأسباب السابقة كلها، أننا نجد عنوانه يتناص ربما عن قصد مع كتاب أحدث انقلابات ثورية في تاريخ علوم اللسان البشري هو: البنى النحوية Syntactic structures لتشومسكي، والفرق الوحيد بين العنوانين: أن البنى النحوية لتشومسكي عامّ، في حين قيَّد أو خصَّص الحاج صالح «البنى النحوية» بلفظة «العربية». وفي الكتاب نعثر على عديد المقارنات بين أفكار الخليل وأتباعه وبين بعض أفكار سوسير وتشومسكي، وأستاذه هاريس، وأستاذ أستاذه بلومفيلد، وبخاصة في الخاتمة،[84] التي لاحظنا أنها تضمنت عنوانا صريحا يتعلق بـــــالمقارنات؛ «مقارنة ختامية موجزة بين ما جاء به العلماء العرب وبعض مذاهب اللسانيات».[85] فمنهج الكتاب تَأسَّس أصلا على فكرة المقارنة بين ما جاء به العلماء العرب، وبين ما هو رائج الآن في علوم اللسان الحديثة.[86] وسنقدم للقارئ الكريم فيما يأتي بعض الأمثلة على ذلك.

4 - 1 - الفرق بين مصطلح «بنية» العربي ومصطلح «Structure»:

يحذّر عبد الرحمن الحاج صالح معشر الباحثين من التخليط بين المفهوم العربي وما يمكن أن يقابله في علوم اللسان الحديثة، فالتصور العربي لمفهوم البنية لا يتطابق مع تصور اللسانيين البنيويين لمفهوم (Structure)، فهما شيآن مختلفان تماما في منظوره،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ووجه الخلاف بينهما أن الكلمة الأجنبية تشير في الأساس إلى الاختلاف الحاصل في الصفات الذاتية المميزة للوحدات التي تتم في المستويات التي فوق الوحدات الصوتية، وسوسير نفسه أبو البنيوية لا يسميها بنية بل نظاما. والأصل في الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء البنيويون سببه في اعتقاد الحاج صالح تغليب النظرة الفلسفية على النظرة العلمية التي جعلت سوسير يفرط في الاهتمام بالاختلاف، وينظر إلى اللغة كلها على أنها نظام من الاختلافات.[87] أما التصور العربي لمفهوم «البنية» فهو ناتج عن التركيب، ويقصد بالبنية النحوية هيكل كل جملة، وأيضا الصيغة[88] « أي الهيئة الافتراضية[89] التي يمكن أن تكون عليها الأسماء والأفعال القابلة للصياغة فقط.[90] أما «البناء» فمدلوله أخص من البنية والصيغة، ويعني به النحاة عندما يكون مصدرا: التركيب والتأليف لعدد من العناصر الذي يترتب عنه إنشاء وحدة جديدة على صيغة معينة. والمراد بـ «بناء» الكلمة في تحديد «الرضي الأستراباذي» هو: «وزنها وصيغتها وهيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها على اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه».[91]وواضح من خلال هذا التحديد أن نظام اللغة عند العلماء العرب مبني على التباين في البنية من جهة، إلا أنهم لا يجعلون منه أساس الانتظام اللغوي، وعلى التكافؤ فيها من جهة أخرى وحمل الشيء على نظيره.[92]

4 - 2 - التوليد عند تشومسكي والتفريع بالتحويل عند العرب:

يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن توليد تشومسكي هو «مُنوئيد» (أحادي المثال) في اصطلاح الرياضيات، والتفريع بالتحويل عند العرب هو زمرة مبنية على التحويل، وبالتالي التناظر. والفرق بينهما: أن التوليد على الطريقة الغربية هو مجموعة لا تتجاوز المنوئيد، لأنها كالحد بالجنس والفصل والاستدلال بالقياس الأرسطي لا تتصف بالتناظر، إذ التقسيم إلى أجزاء أو تحليل الجنس إلى أفراده، أو اندراجها تحته لا يناظره شيء كما هو الحال في المنوئيد. أما عمليات التوليد أو التفريع العربي بالتحويل، القائمة على الزيادة والتركيب هي مجموعة من التحويلات التي تستوفي شروط الزمرة في الرياضيات، وردُّ الشيء إلى أصله أو التحويل المعكوس هو نوع من الأنواع كما يذهب إلى ذلك علماء العرب.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وليصلح تشومسكي النقصان الفادح الذي يمتاز به التحليل إلى مكونات قريبة لجأ، كما لاحظ الحاج صالح، إلى مفهوم التحويل، غير أنه لم يبين بالمخططات والتشجير كيف يتم ذلك (أي التحويل) كما فعل بالنسبة إلى التوليد الذي سَهُل على تشومسكي تمثيله بالتشجير، على اعتباره المخطط الأمثل لتصنيف المكونات المباشرة. وفي المقابل يمثل الحاج صالح للتفريع العربي بالتقابل التناظري (Bijection) بين مجموعتين كما يفعل النحاة مثلا عند تحويلهم الجملة المبنية للمعلوم ومقابلتها بالمبنية للمجهول. وفي معادلة بسيطة نستنتج أن: (التوليد العربي = زمرة) أما (المنوئيد = زمرة – صفة التناظر).[93]

4 - 3 - نظرية الموضع:

يتساءل الحاج صالح في مقدمة الكتاب قائلا: «ما هو «الموضع» الذي يكاد يأتي في كل صفحة من صفحات كتاب سيبويه؟[94] تُعد فكرة الموضع أو المواضع أو المواقع، كما يطلق عليها بعض من جاء بعد سيبويه، القلب النابض للنظرية النحوية العربية[95]، ومن يدرك فحواها يفهم الأبعاد العلمية لنظرية العامل النحوي. وعين الموضع كما استنبطه الدكتور الحاج صالح من أقوال الرماني والمبرد وابن جني وأبي علي الفارسي... يشير إلى[96]: موقع الوحدات أو العناصر اللغوية في تسلسل الكلام ومحيط خاص، حيث تتوالى على ترتيب وهيئة معينة، وبتعبير آخر: الحيز المكاني أو المواقع التي يمكن أن يشغلها كل واحد من العناصر اللغوية، أو فئة العناصر أو الوحدات التي يمكن أن تحتل الموقع نفسه. فبعض العناصر قابل للوقوع موقع عناصر أخرى من نفس الجنس، وتأدية ما تؤديه، وبعضها غير قابل، ولو وضعتها موضع فئة ليست من نفس القبيل لم يجز. وما يسميه الرماني بقسمة المواقع يطلق عليه في اللغات الأجنبية (Distribution)، وهو، كما يقر المؤلف، مفهوم منهجي لجأ إليه «بلومفيلد» لاستخراج الوحدات الدالة الصغرى بطريقة موضوعية، وإثبات هويتها وتصنيفها. «ومن خصائص هذه المواقع، عند العرب، أن اللفظ الواحد قد يتغير مجراه بانتقاله من موضع إلى موضع آخر، فيصير بذلك فردا من جنس آخر».

وفكرة الموضع أساسية في التمييز بين المفاهيم النحوية، فهناك فرق بين الفاعل في اللفظ والفاعل في المعنى، وترتيب اللفظ في بناء الجملة هو الذي يحدد ذلك؛

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ففي قولنا: «مررت برجل يقرأ، ورأيت رجلا يحَدِّثُ» فرجل في كلا الجملتين هي الفاعل المعنوي ولكن الفاعل الصناعي أي اللفظي فيهما انطلاقا من ترتيب اللفظ هو الضمير المستتر «هو»، وترتيب اللفظ هو الذي يَعْتَدُّ به أهل هذه الصناعة، قال ابن جني: «الفاعل ليس المراد به أن يكون فاعلا في المعنى دون ترتيب اللفظ، وأن يكون اسما ذكرته بعد فعل وأسندته ونسبته إلى الفاعل كـــ «قام زيد وقعد عمر»، ولو كان الفاعل الصناعي هو الفاعل المعنوي للزمك أن تقول: «مررت برجلٌ [هكذا بالرفع] يقرأ» فترفعه لأنه قد كان يفعل شيئا وهو القراءة، وأن تقول: «رأيت رجلٌ [هكذا بالرفع] يُحدِّثُ» فترفعه بحديثه، وأن تقول في رفع زيد من قولك: «زيد قام» أنه مرفوع بفعله لأنه الفاعل في المعنى».[97] ويؤكد ابن جني هذه الفكرة بقول أبي علي الفارسي: «يجوز أيضا أن تُخرجه [أي اللفظ أو العنصر] من جنس إلى جنس آخر إذا أنت نقلته من موضعه إلى غيره». وواضح أن هذه الفكرة التراثية تتقاطع مع مبدأ من المبادئ التي أعلن عنها سوسير لاحقا في تحليله المشهور لثنائية المحورين: التركيبي في مقابل الاستبدالي عند نسيج النص وإنتاج الكلام.

وبعد المقارنة والتحليل لمدلول الموقع في الكلام كما ورد في اللسانيات الأمريكية (عند بلومفيلد وتلميذه كينيث بايك K. Pike) يستنتج الدكتور الحاج صالح أن للفظة «موضع» عند سيبويه مدلولا أوسع وأدق من مجرد الموقع المحسوس؛ فليس بالضرورة أن يكون الموضع موقعا محسوسا للوحدات اللغوية، فقد يكون موضعا في البنية (هيئة افتراضية) لا في تسلسل الكلام، ومحتوى الموقع قد يكون خاليا. فالموضع إذا «هو الفضاء الاعتباري الذي لا يظهر في درج الكلام إلا إذا دخلت فيه، وشغلته وحدة لغوية مهما كان محتوى الكلام المنطوق، وبشغلها لهذا الفضاء تكشف هذه الوحدة الملفوظة عن وجود الموضع في بنية من الكلام. وقد لا تدخل فيه، ولا تظهر فيه أحيانا أخرى، ولهذا يضطر اللغوي إلى تقديرها لإظهار الموضع».[98]

5 - خاتمة:

من خلال هذه القراءة يتبين أن «النقد اللساني» بُعْدٌ واضح في أبحاث الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ودراساته، هيمن حضوره على الكتابة اللسانية لديه، وليس من السهل فصله عن المتن؛ فقد بدا مزيجا من الوصف، والشرح، والتفسير، والنقد، ونقد

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

النقد. انسحب نقده اللساني على التراث، وعلى ناقدي التراث من العرب والغربيين؛ فلا يوجد مفهوم لساني مقدس في أبحاثه، وكلها تتنزل عنده للفحص والتمحيص. وتكشف مراجعاته للمنجز اللساني العربي والغربي عن ناقد متبصر، يعكس نقده حقيقة المسعى العلمي المثمر لأفكاره وآرائه، ويفصح عن طبيعة قراءته الناقدة وما تتميز به من نظرة تجديدية، وتفتح ذهني، وروح استدلالية، وقدرة على استنباط الوجوه والفروق، واستخلاص النتائج، والتمييز بين الأصيل من المفاهيم والتصورات وبين المقلد، لدى أجيال متعاقبة من النحاة واللسانيين؛ يكشف لك عن وجه الأصالة في الأصيل، وعن وجه التقليد في المقلد: فأحيانا ينبه إلى التغيير والاختصار الذي أحدثه شراح «الكتاب» من المتقدمين. وأحيانا يُخَطِئ المتأخرين من النحاة، ويصف أعمالهم بالمدرسية، وأحيانا أخرى ينقد تعسف اللسانيين المحدثين من العرب والغربيين، مع إثبات العجز الإجرائي لمقولاتهم اللسانية بأساليب متنوعة، من سماتها اللغة العلمية المباشرة، والبصمة الأسلوبية المتميزة، التي تتخللها من حين إلى آخر رجة إنشائية لافتة،[99] لها بعد تأثيري إقناعي يهز القارئ، نحو قوله مثلا: «...والعجيب في قول ابن سينا...»، «... والعجيب أنه قد ظهر في العشريات الأخيرة نظريات...»،[100] «ابتلينا معشر الباحثين العرب منذ أن قرر البلاغيون المتأخرون...»،[101] «...تَوَهُّمَات النحاة بعد سيبويه...»، «...لا يوجد مثله في النظريات اللسانية الحديثة»، «وهذا الاهتمام لم يحصل إلا قديما في عهد سيبويه...»، «و يا حبذا لو درسوا في نفس الوقت نظريات علم اللسان الحديث...» إلخ.[102] ويتواتر في قراءته الناقدة حضور لعبارة «لم يدركوا» في أسيقة متنوعة، وبصيغ مختلفة كقوله: «لم يفهموا»، «لم يستنتجوا»، «لم ينتبهوا»، «لم يميزوا»، «خلطوا»...إلخ.[103] ومن الاستراتيجيات التي وظفها في «نقده اللساني»، حمل المفاهيم بعضها على بعض، على شكل ثنائيات لغوية متقاربة، أو متقابلة، أو متضادة، وفعالية هذا النوع من العرض في عمليتي التوصيل والتأثير معلومة لدى علماء التربية والنفس.

هذا بُعْدٌ من الأبعاد البحثية عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، (تقبل الله جهوده في خدمة اللغة العربية)، يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته، فهو أستاذ من أساتذة الجيل، ورائد من رواد اللسانيات، نحويّ لا يشبه النحاة! تراثيّ ليس كبقية التراثيين! حداثيّ ليس كأغلب الحداثيين![104] بوّأته إحاطته

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

العميقة بالنماذج النظرية اللسانية كي يكون كذلك، وهدته قراءاته المتواصلة إلى اكتشاف نظريات في علوم اللسان العربي لا سيما عند الخليل وأتباعه. وقد سعى طيلة مسيرته العلمية إلى تمثل أفكارهم، وهضم مادتهم، وتحويلها بعد ذلك إلى نظرية حديثة مكافئة، إن لم نقل متجاوزة، للنظريات اللسانية الغربية. لقد وُفق الحاج صالح في تحديد معالم نظرية النحاة العرب، وجمع أصولها، واجتهد في صياغة نظرية النظرية منها، رغم غموض أساليب القدماء، وصعوبة لغتهم العلمية، وضبابية الإطار النظري الذي تشكلت فيه مقولاتهم اللسانية، ثم رحل عنا وفي نفسه شيء منها (من نظرية النظرية)، ولا ندري! من الباحث الموهوب الذي سيحظى بشرف الإضافة إليها، فيدرك النظام أو العلاقات[105] التي تجمع أشتاتها، وربما يهتدي إلى صياغة تحمل مزيدا من الوضوح، والشمول، والتماسك، والاقتصاد، وكل هذه الصفات من خصائص العلم المضبوط.[106]

الإحالات والحواشي:

1 – الدكتور «عبد الرحمن الحاج صالح» أستاذ من أساتذة الجيل، ورائد من رواد الدرس اللساني في الوطن العربي عموما والجزائر خصوصا، ولد بمدينة وهران (الجزائر) في سنة 1346هـ/ 1927م. قضى شطرا كبيرا من حياته في خدمة اللغة العربية بحثا وتقويما وتدريسا. له مسيرة علمية حافلة بالأنشطة والمسؤوليات، شغل خلالها عدة مناصب آخرها رئيس المجمع الجزائري للغة العربية، وصاحب فكرة مشروع الذخيرة اللغوية العربية المحوسبة آليا (قوقل عربي). له عدة مؤلفات وأبحاث باللغة العربية واللغات الأجنبية، يتعلق جلها بقضايا اللغة العربية التراثية والراهنة أبرزها: سلسلة علوم اللسان عند العرب، التي تضمنت على الترتيب الآتي «بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول والثاني» و«الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، الحلقة الثالثة» و«البنى النحوية العربية، الحلقة الرابعة»، بالإضافة إلى «بحوث ودراسات في علوم اللسان» و«السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة» و«منطق العرب في علوم اللسان»، وأطروحة دكتوراه دولة حصل عليها من السوربون بباريس سنة 1979، عنوانها: «علم اللسان العربي واللسانيات العامة». وقد أهلته قراءته التجديدية للتراث اللغوي، لا سيما تراث

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

سيبويه وشيوخه وتلاميذه لاستنباط نظرية أطلق عليها «النظرية الخليلية الحديثة»، حاول من خلالها أن يثبت الكفاية النظرية والمنهجية للنحاة القدامى، الذين كانوا لسانيين قبل أن تنشأ اللسانيات. وفي سنة 1431هـ/ 2010م مُنح جائزة الملك فيصل بالاشتراك، تقديرا لجهوده العلمية المتميزة في خدمة اللغة العربية. توفي رحمة الله عليه في: 05 مارس 2017/ 1438هـ.

2 – محمد صاري، محاولات تيسير تعليم النحو قديما وحديثا، دراسة في ضوء علم تدريس اللغات، أطروحة دكتوراه مخطوطة، إشراف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، نوقشت بجامعة عنابة، ص140، انظر الحاشية.

3 – وفكرة التقسيم النحوي والبلاغي إلى مناطق أو قطاعات متمايزة عند الدكتور الحاج صالح، الاعتبار فيها بالنظر إلى الأصالة والإبداع، لا بالنظر إلى قطاع مقبول يستحق الدرس وآخر مردود لا يستحق الدرس، فكل التراث في الواقع حقل للفحص وقابل للدراسة، ولكن هناك فرقا بين دراسة النسخة الأصلية، ودراسة نسخة شارحة أو مصورة أو محرفة. وفي هذا السياق يرى الدكتور الحاج صالح أن أكثر المفاهيم اللغوية لم يتغير لفظها عند المتأخرين، وإنما تغير محتواها، ومن ذلك على سبيل المثال مصطلح: «لفظة» و«كلمة» و«قياس» و«باب» و «حدّ» و«مثال» و«بناء» و«أصل» و«كلام» و«لغة»...إلخ. انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص 178، 183.

4 – قال جورج مونان في كتابه مفاتيح الألسنية: «إن تاريخ نشأة اللسانيات يُحدد بحسب نظرة الباحث إليها؛ فيمكن أن يقال إنها نشأت في القرن 5 ق.م [إشارة إلى الدراسات الهندية القديمة مع بانيني]، أو مع بوب Bopp سنة 1816م، أو مع سوسير سنة 1916م، أو مع تروبتسكوي سنة 1926م، أو مع تشومسكي سنة 1956م». انظر:

* G. Mounin : Clefs pour la linguistique, Paris, Seghers, 1968, p 19 .

* نلمس في هذا الإشهاد وغيره، (وبخاصة لدى موريس لوروا في: الاتجاهات الكبرى في اللسانيات، وروبنز في: التاريخ الموجز للسانيات من أفلاطون إلى تشومسكي، وجورج مونان في: تاريخ اللسانيات منذ نشأتها إلى القرن العشرين،

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

وجون ليونز في: اللسانيات العامة: مدخل إلى اللسانيات النظرية...إلخ) إما مصادرة أو تجاهلا لحلقة مهمة في تاريخ الفكر اللساني البشري، تمثلت في لسانيات اللغة العربية التي امتدت على مدى ثمانية قرون أو تزيد من الإنتاج والعطاء. والصورة الإيجابية عن الفكر اللغوي العربي عموما، وعن نحاة البصرة والكوفة خصوصا وردت عند «جوليا كريستيفا» في كتابها «اللغة هذا المجهول».

5 – حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، مطابع الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت 2009، ص 318.

6 – لفت انتباهنا ونحن نتابع الأوراق البحثية التي يلقيها المشاركون في المؤتمر العالمي حول «إسلامية الدراسات اللغوية والأدبية وتطبيقاتها»، ورود عنوان فرعي في ورقة بحثية، تحدث فيه المتدخل عن (أسلمة المورفيم)!! وفي المناقشة التي تلت الجلسة تدخل أحد الحاضرين معقبا على هذه الفكرة قائلا للمتدخل: تركت المورفيم قبل سفري للمشاركة في المؤتمر محايدا (لا مؤمنا ولا كافرا) فعندما وصلت ههنا وجدته أسلم على يديك!

7 – محمد صاري، قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 4، العدد4، جامعة مؤتة، وزارة التعليم العالي، الأردن 2008، ص 199 – 200.

8 – مثل «عقبات البحث اللساني العربي» لعبد السلام المسدي، و«أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي» لمازن الوعر، «واللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية» لمصطفى غلفان، و«اللسانيات العربية المعاصرة، حصاد الخمسين» لسعد مصلوح...إلخ.

9 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر2007.

10 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص9.

11 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 21.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

12 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص7.

13 – المرجع نفسه، ص9.

14 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص16.

15 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 20.

16 – المرجع نفسه، ص31، 32، 44.

17 – حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص93.

18 – المرجع نفسه، ص 93.

19 – عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية، نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط 1987، ص 11 – 17.

20 – حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 85.

21 – عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، ط1، تونس 1998، ص 13 – 19.

22 – ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وكمال بشر، وأنيس فريحة، ومهدي المخزومي، وشوقي ضيف، وتمام حسان، ومحمد عيد، وعبد القادر الفاسي الفهري... إلخ.

23 – محمد صاري، قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 4، العدد4، جامعة مؤتة، وزارة التعليم العالي، الأردن 2008، ص 183 – 184.

24 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب1994، ص–14 15.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

25 – إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1995، ص43.

26 – عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، دار راجعي للنشر، ص 39 – 78. وكذلك كتابه، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص19.

27 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 14.

28 – إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1978، ص198.

29 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص189.

30 – عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية، منشورات عويدات، بيروت 1986، ص52.

31 – إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1959، ص 18 – 21.

32 – عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية، ص51 – 52.

33 – حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، ص327.

34 – من خلال أعمال الحاج صالح وأبحاثه المتنوعة تكتشف شخصية علمية تراثية متحكمة في مناهج القدماء، وأخرى حداثية لها إحاطة كافية بالنماذج النظرية اللسانية الحديثة تركيبا وتصنيفا.

35 – محمد الشاوش، تركيبية النص، العلاقات النسقية بين الجمل، رسالة دكتوراه دولة مخطوطة، إشراف د. عبد القادر المهيري (انظر خاتمة البحث)، وقد تم طبعها تحت عنوان: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص.

36 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر2007، ص81.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

37 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص10.

38 – المرجع نفسه، ص 19، 32.

39 – يقر الدكتور حسن خميس الملخ : أن الفكر اللساني العربي في مراحله الأولى لم يدخل في حوار علمي حقيقي مع الفكر اللساني الحديث ليحدد موقعه منه، ويستثني من هذا الحكم أعمال كل من الحاج صالح وعبد السلام المسدي. انظر حافظ اسماعيلي علوي، وليد العناني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص328.

40 – موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وآخرين، دار القصبة، الجزائر 2004، ص42.

41 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص7.

42 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص81.

43 – المرجع نفسه، ص 11.

44 – المرجع نفسه.

45 – المرجع نفسه، ص 12.

46 – موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ص 38 39.

47 – يرى الحاج صالح أن التسوية بين الوضع اليوناني والوضع العربي مجرد افتراض، ولا يوجد أي دليل يثبت وجود لهجات عربية مختلفة كاختلاف اللهجات اليونانية. انظر، عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص 148.

48 – إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1995، ص43.

49 – ديفيد جستيس، محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

ضوء اللغات الأوروبية، تر: حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض 2005، ص18. وانظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص174.

50 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب 1994، ص –14 15.

51 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 14.وانظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص34 41–.

52 – عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 147.

53 – المرجع نفسه، ص 147.

54 – من السمات المركزية المتجذرة في ثقافة المستعمر مسمى «اللهجة»، وهي تنبع من أيديولوجية عنصرية في أساسها، تقوم على الفكرة التالية: نحن أمة لها لغة والآخر أو «هم» قبائل لها لهجات، وهذه طريقة من الطرق التي يميز بها نفسه عن المجموعة التي يسيطر عليها. لمزيد من المعلومات انظر: روبير فليبسون، الهيمنة اللغوية، ترجمة سعد الحشاش، النشر العلمي، جامعة الملك سعود، الرياض 2007، ص 57 – 58.

55 – عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص154 – 159.

56 – المرجع نفسه، ص 154.

57 – المرجع نفسه، ص 160.

58 – ديفيد جستيس، محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ص19.

59 – عبد الرحمن الحاج صالح، السماع العلمي اللغوي عند العرب، ص 156.

60 – المرجع نفسه، ص167. وانظر: الشواهد التي قدمها عبد الرحمن الحاج صالح في ص 170 – 171 من المرجع نفسه.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

61 – المرجع نفسه، ص 183.

62 – الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح مازن المبارك، دار النفائس، ط5، بيروت1986، ص 92.

63 – لمزيد من المعلومات حول مفهوم أو نظرية المقطع عند الصوتيين العرب انظر بحث الدكتور الحاج صالح المنشور بالفرنسية:

«La notion de syllabe et la théorie cinetico-impulsionnelle des phonéticiens arabes»

في كتابه: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 1 – 25.

64 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 175 – 177.

65 – لعدم وجود ما يقابل المفهوم العربي للحركة والسكون في علوم اللسان الحديثة، اضطر الحاج صالح إلى إطلاق (Akinesis / Kinesis) عليهما، كما أطلق مصطلح Kinem في مقابل الحركة، ولا يعرف هذا المفهوم في الصوتيات التقليدية عند الغربيين. انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص81. وكتابه، البنى النحوية العربية، ص 19.

66 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص14.

67 – المرجع نفسه، ص 179.

68 – المرجع نفسه، ص 179 – 192.

69 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 20.

70 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص183، 191.

71 – حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 85.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

72 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 189، الحاشية 39.

73 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 185 – 197.

74 – عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2012، ص 141 – 142.

75 – انظر «باب في الرد على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة»، ابن جني، الخصائص، تح عبد الحكيم بن محمد، ج1، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ص168.

76 – ابن جني، الخصائص، ج1، ص60.

77 – د، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص178، الحاشية.

78- Louis Hjelmslev, Prolégomènes a une théorie du langage, les éditions de minuit, Paris1971, p.179 .

79 – عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، ط2، القاهرة 1970، ص 50.

80 – عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2016.

81 – المرجع نفسه، ص 3، 316.

82 – المرجع نفسه، ص 3.

* ولذلك خصص المؤلف ملحقا في نهاية الكتاب بيَّن فيه الفرق بين الدراسة العلمية المحضة، والدراسة لكسب المهارة، عنوانه: «النحو العلمي والنحو التعليمي».

83 – المرجع نفسه، ص 17.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

* إن موضوع الكتاب، كما ورد في المقدمة، هو تحليل «البنى النحوية كما تصورها النحاة العرب من جيل الخليل وسيبويه، غير مشوهة بما أصاب هذا التصور من تغيير بسبب ما طرأ على الحضارة العربية الإسلامية من تأثير خارجي ومما حدث من غزو المنطق الأرسطوطاليسي وغير ذلك من التأثيرات». المرجع نفسه، ص 18.

84 – انظر المقدمة والخاتمة، فقد ورد فيهما ذكر لأعلام اللسانيات الغربية لا سيما تشومسكي وأستاذه هاريس أكثر من مرة، ومن الرواد الذين ذكرهم أيضا: سوسير، و بلومفيلد، وكينيث بايك، و بواس و سابير، و تنيار، وجان كانيوبان، و مارتينيه... إلخ.

85 – المرجع نفسه، ص 314.

86 – المرجع نفسه، ص 6.

87 – المرجع نفسه، ص 20.

88 – من أبرز الخصائص المتحققة في الفضاء اللغوي العربي والتي يمكن للعربية أن تفخر بها فخرا خاصا كما يقول بعض الغربيين هو الارتباط بين الوزن أو التركيب الصرفي والمعنى أو الدلالة. انظر: ديفيد جستيس، محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية،ص14.

89 – إبراهيم الشمسان، مداخلات لغوية (1) مسائل لغوية، ط1، الرياض2015، ص 153.

90 – المرجع نفسه، ص 9.

91 – المرجع نفسه، ص 10.

92 – المرجع نفسه، ص 11.

93 – لمزيد من المعلومات انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 270.

94 – المرجع السابق، ص 18.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

95 – لمزيد من المعلومات حول نظرية المواضع انظر الأطروحة القيمة الموسومة «بنظرية الموضع في كتاب سيبويه»، إعداد: د، علي المعيوف، إشراف أ.د. إبراهيم الشمسان، نوقشت بقسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، سنة 2009.

96 – د. عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 61 – 68.

97 – انظر، ابن جني، المحتسب،(1/ 230) عن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص 141.

98 – د، عبد الرحمن حاج صالح، البنى النحوية العربية، ص68.

99 – نحو قوله: «ابتلينا معشر الباحثين العرب بـــ...»، « ...ولسوء حظ الخليل ابن أحمد أنه يُعْرَفُ عند عامة الناس بأنه واضع علم العروض...»إلخ.

100 – عبد الرحمن الحاج صالح، دراسات في اللسانيات العربية، ج1، 171، 176.

101 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 187.

102 – عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 5، 6، 17، 20، 306.

103 – المرجع نفسه، ص 17.

104 – هدم لا يقابله بناء لساني، فباسم اللسانيات تصادر نظرية العامل لعدم وجودها في الدراسات البنيوية.

105 – لأن العلم كما يقول الحاج صالح: «لا يبلغ غايته، ولا تتحقق أهدافه إلا إذا انتقل من ملاحظة الأشياء في ذاتها، إلى ملاحظة العلاقات والنسب القائمة بينها»، فاكتشاف العلاقات بين العناصر والظواهر هو أكبر اكتشاف يمكن أن يحصل عليه الباحث. انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، عنصر «مفهوم العلم في نظرية المعرفة الحديثة» ص22 – 26.

106 – تمام حسان، الأصول، دراسة إبستمولوجيا لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء1991، ص 13 – 19.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

المصادر والمراجع:

- **إسماعيلي علوي، حافظ**: د، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، مطابع الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت 2009.

- **الشاوش، محمد**: تركيبية النص، العلاقات النسقية بين الجمل، رسالة دكتوراه دولة مخطوطة، إشراف د. عبد القادر المهيري. تم طبعها تحت عنوان: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية- تأسيس نحو النص.

- **الشمسان، إبراهيم**: مداخلات لغوية (1) مسائل لغوية، ط1، الرياض2015.

- **أنجرس، موريس**: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وآخرين، دار القصبة، الجزائر 2004.

- **أنيس، إبراهيم**: في اللهجات العربية، ط9، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1995.

- **من أسرار اللغة**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1978.

- **جستيس، ديفيد**: محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، تر: حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض2005.

- **ابن جني**، الخصائص، تح عبد الحكيم بن محمد،ج1، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

- **الحاج صالح، عبد الرحمن**:

* المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، وقائع تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ط1، دار الفكر الإسلامي، المغرب 1987.

* السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري2007.

* بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، 2، منشورات المجمع الجزائري 2007.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

* بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007.

* منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر2010.

* الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري 2012.

* البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر2016.

- **حسان، تمام:**

* اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب1994.

* الأصول، دراسة أبستمولوجيا لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء1991.

- **الزجاجي**، الإيضاح في علل النحو، تح مازن المبارك، دار النفائس، ط5، بيروت1986.

- **صاري، محمد:**

* محاولات تيسير تعليم النحو قديما وحديثا، دراسة في ضوء علم تدريس اللغات، أطروحة دكتوراه مخطوطة، إشراف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.

* قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد 4، العدد 4، جامعة مؤتة، الأردن، تشرين الأول 2008.

- **الفاسي الفهري، عبد القادر:**

* اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، وقائع تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط 1987.

* اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية، منشورات عويدات، بيروت1986.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجاريا

– **فليبسون، روبير**: الهيمنة اللغوية، ترجمة سعد الحشاش، النشر العلمي، جامعة الملك سعود، الرياض 2007.

– **مجدوب، عز الدين**: المنوال النحوي العربي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، ط1، تونس1998.

– **مصطفى، إبراهيم**: إحياء النحو، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1959.

- Hjelmslev, Louis: Prolégomènes a une théorie du langage, les éditions de minuit, Paris1971, p.179 .

- Hadj-Salah, Abderrahman : Linguistique Arabe Et Linguistique Générale, essai de méthodologie et d épistémologie du ilm-arabia ; Tome 1,2 , publication de l'académie algérienne de la langue arabe,2011.

- Mounin, G. : Clefs pour la linguistique, Paris, Seghers 1968.